

٢٠٢٤

قوة الشياطين

للقدّيس يوحنا ذهبي الفم

١

ترجمة الراهب

متى الانبا بولا

تقديم

نيافة الانبا بيسنتي

دير الأنبا بولا
البحر الأحمر

قوة الشياطين
للقدّيس يوحنا ذهبى الفم
(١)

ترجمة
الراهب متى الأنبا بولا

مراجعة وتقديم
نيافة الأنبا بيسنتى
أسقف حلوان والمعصرة

اسم الكتاب : قوة الشياطين
الناشر : دير الأنبا بولا
إعداد : الراهب متى الأنبا بولا
جمع تصويرى : يوستينا للدعاية والإعلان
ت : ٠١٢٤٤٦٣٠٩٢
طبع فى مطبعة د/ فيكتور كيرلس
ت : ٥٩٣٥٧٤٠
رقم الإيداع : ١١٨٤٩ يونيه ٢٠٠٤



القديس البار الأنبا يولا
أول السواح



قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الأسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية



نيافة الأنبا بيسنتي
أسقف حلوان والمعصرة

إهداء
إلى روح أبينا الطوباوي
المتنيح الراهب أباكير
السرياني

تقديم

هذه المواعظ لأب عظيم من آباء الكنيسة الجامعة حيث عاش هذا القديس العظيم يوحنا ذهبى الفم فى الفترة من سنة ٣٤٧-٤٠٧ م قبل إنقسام الكنيسة فى مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م. وهذا القديس تميزت عظاته بالعمق الروحى وقوة الإقناع ولهذا تسمى باسم ذهبى الفم.

يعالج لنا فى هذه العظات - التى ستستمتع بها أيها القارئ العزيز - داءا روحيا تفسى قديما وحديثا، هذا الداء هو التهاون فى الجهاد الروحى. لهذا يؤكد القديس على حرية إرادة الإنسان والمسئولية السلوكية وضرورة الجهاد حتى الدم...

بعد قراءتك لهذه العظات سوف لا تنزعج من أى تجربة لأنك ستكون متأكدا أنها ستؤول إلى خير روحى

وأبدي، وستلمس قول القديس بولس الرسول "أن كل الأشياء تعمل للخير للذين يحبون الله" (رو ٨ : ٨)... وكذلك "أستطيع كل شئ في المسيح الذى يقوينى" (فى ٤ : ١٣).

شكرا للرب على هذه العظات الممتعة، وشكرا لقدس الأب الموقر الراهب متى الأنبا بولا الذى قام بترجمتها، الرب يعوضه بالخير والرب يجعل هذه العظات سبب تعزية وبركة وقوة روحية، ببركة وصلوات أبينا الطوباوى الحبيب قداسة البابا المعظم البابا شنودة الثالث أدام الله لنا حياته الغالية.

بيسنتى

أسقف حلوان والمعصرة

كلمة شكر

أخي الحبيب. القارئ العزيز..

اسمح لى أن أضع بين يديك هذا الكتيب وهو عبارة عن العظة الأولى من ثلاث عظات عن قوة الشياطين للقديس يوحنا ذهبى الفم ألقاها على شعبه فى أنطاكية، فى هذه العظات يحثهم على المثابرة والجهاد ضد الخطية وينأى بهم عن التراخى والكسل ويدحض بعض البدع والهرطقات الموجودة فى ذلك الوقت.

أشكر الرب الذى أعاننى على ترجمتها عن النص الإنجليزى وقد قمت بإضافة شواهد للآيات.

من أعماق قلبى أتقدم بخالص الشكر والإمتنان إلى حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا بيسنتى - أسقف حلوان والمعصرة - لتشجيعه لى وتفضله بمراجعة وتقديم هذه العظات بالرغم من مسئولياته الجمة، الرب يديم لنا حياته سنينا عديدة.

قوة الشياطين

كما أننى أشكر أبائى رهبان الدير الذين ساعدونى
بمجهودهم وصلواتهم، وأيضاً كل من له تعب. إله
السماء يعوضهم خيراً فى ملكوته.

أرجو من إلهنا الصالح أن يجعل هذه العظة لمجد
اسمه القدوس وسبب بركة ومنفعة للكثيرين وتعزية
للمجربين، بشفاعات القديسة الطاهرة العذراء مريم،
والقديس البار الآبى بولا أول السواح، وبركة صلوات
أبينا الطوباوى صاحب القداسة والغبطة البابا شنودة
الثالث - زهبى الفم هذا الجيل - الرب يعطيه أزمنة هادئة
مديدة.

المترجم

مقدمة^(١) للراهب و.ر. استفانوس

هذه واحدة من ثلاث مواعظ للقديس يوحنا ذهبى الفم تتناول موضوعاً واحداً وهو قوة الشياطين ألقاها فى أنطاكية وكان وقتئذ قساً فى حبرية الأسقف فلافيان.

تتناول هذه العظات بعض الضلالات التى كان يقاومها القديس يوحنا بكل شدة فى زمن ساد فيه الفساد، فكان كثيرون يعلنون ضعف جهادهم ضد الخطية وعدم ثباتهم هم وغيرهم بالتأكيد على أن العالم يخضع لنفوذ الشياطين وسيطرتهم وأنه أى العالم ماض إلى مصيره المحتوم الذى لا يمكن تغييره.

ولكى يبطل القديس النتائج المأساوية لهذه الفلسفة التى جعلت الإنسان يخضع ويستسلم لتيار شهواته وانفعالاته كان من الضرورى أن يؤكد بكل جرأة وإصرار على

(١) المقدمة بتصرف

إرادة الإنسان الحرة والمسئولية الأخلاقية وضرورة مقاومة إغراءات الخطية بكل جهد كبير وعزم قوى. والذي فعله القديس يوحنا فى هذه العظات هو مقاومة المذهب القائل بأن الشر عنصر متأصل فىنا ومكمل لطبيعتنا وكان يؤكد أن الشر ليس قوة فطرية متأصلة فىنا، وإذا كان الشر جزء من طبيعتنا فلا يستحق الشجب أكثر من باقى الشهوات والغرائز والنزعات الطبيعية الأخرى.

إن الخطية تأتى نتيجة انحراف فى الهدف الأخلاقى.

أبوانا الأولان - آدم وحواء - سقطا نتيجة الكسل والتوانى وهذا هو السبب الرئيسى للخطية، لقد رسما لنا دربا ونحن نسير فيه ومنذ ذلك الحين ضعفت الإرادة فى كل الأجيال المتعاقبة، وبالرغم من أن الشر ليس عنصرا متأصلا فى الطبيعة البشرية لكننا نجد الإنسان

يميل إليه بسهولة، هذا الميل والانجذاب إلى الشر يجب أن يُقاوم ويُصد بشكل دائم وبكل قوة، وذلك بالجهاد والمثابرة وتهذيب الهدف الأخلاقي وبمساندة النعمة الإلهية طبعاً. ومع يقين العلم بأن هناك ميل وانجذاب عام وقوى تجاه الخطية هذا من ناحية، وحرية تامة للإرادة من ناحية أخرى، لذلك يعلن القديس يوحنا محذراً ومشجعاً:

يحذر من الضعف والتواني والإهمال وأيضا من الانحراف عن الهدف المستقيم هذه التي تؤدي إلى السقوط. ويشجع لاستخدام كل القوى التي منحت للإنسان مع الارتكاز على طول أناة الله ومحبته وأيضا رغبته في معاونة هؤلاء الذين لا ييأسون.

قوة الشياطين

إن اليأس من أقوى أسلحة الشيطان الفتاكة لتدمير وإهلاك الإنسان لأنه يمنعه من القيام والنهوض ثانية من سقطته.

القديس بولس الرسول ندم ولكنه لم ييأس فأصبح مساويا للملائكة، ويهوذا ندم لكنه يأس فاندفع إلى الجحيم.

الموعظة الأولى

الرد على أولئك الذين يقولون أن الشياطين
تتحكم فى شئون الإنسان، والذين يستأون من
تأديبات الله ويعترضون لازدهار الأشرار
وينزعجون لمتاعب الأبرار.

الحماس الكبير للجمهور سامعى القديس يوحنا
فى الحقيقة كنت أود من استمرار حديثى أن
تشبعوا وتتخموا من كلماتى لكن أرى أن العكس قد حدث
فان رغبتكم فى الاستماع قد ازدادت وحدثت إضافة لا
لتخمتكم ولا لشبعكم لكن لمبتعتكم وتشوقكم. نفس الشيء
يحدث عند شربىيى الخمر فى اجتماعات السكر عند
الوثنيين فكما أكثروا من الشراب ازدادوا عطشا، وأنتم
أيضا كلما غرسنا فيكم تعاليمًا أكثر ازداد تشوقكم وكثرت
رغبتكم وقويت محبتكم. ومع أننى شاعر بفقرى الشديد
لكننى لا أكف عن تقليد المتفاخر فى المضيفين مقدما لكم
ماندتى واضعا عليها كأس تعليمى الممتلئة عن آخرها
التي بعد تناولكم إياها تعودوا للظما من جديد وهذا أصبح
واضحا على الدوام وخصوصا منذ يوم الرب (الأحد)
الماضى بعد تناولكم من الأسرار المقدسة.

قوة الشياطين

فى ذلك اليوم خاصة عندما حدثتكم عن خطية الإدانة وأوضحت لكم أنه يجب على المرء أن يدين نفسه ولا ينشغل بخطايا الغير، وأظهرت كيف كان القديسون يدينون أنفسهم ويبرؤون الآخرين، واستشهدت بالقديس بولس الرسول الذى اعتبر نفسه أول الخطاة وأنه كان مجذفا ومضطهدا ومفتريا ويدعو نفسه كالسقط ولا يستحق أن يدعى رسولا لكن الله رحمه "أنا الذى كنت قبل مجذفا ومضطهدا ومفتريا ولكننى رحمت" (اتى ١: ١٣).

وبطرس الرسول يقول "أخرج من سفيتى يارب لاني رجل خاطئ" (لوقا ٥: ٨).
ومتى الإنجيلي يدعو نفسه عشارا حتى بعد أن صار رسولا.

وداود النبي يصرخ قائلا: "إن آثامى طمت فوق رأسى مثل حمل لم أستطع حمله" (مز ٣٨: ٤٠).

وأشعياى النبى نىوح "ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان
نجس الشفتين" (أش ٦ : ٥).

والثلاثة فتية فى أتون النار يعترفون قائلين أنهم خطاة
وعصاة ولم يحفظوا وصايا الله.

وهكذا قال دانيال أيضا

بعد أن ذكرت هؤلاء القديسين فأنى أشبهه من
يدنوا الآخرين بالذباب الذى يتهافت على جروح الناس
كذلك هم أيضا يركزون على خطايا الغير جالبين أمراضا
لأنفسهم، أما الذين يفعلون النقيض أشبههم بالنحل فأنهم
لا يسببون أمراضا لكنهم يبنون بيوتا من العسل بولاء
عظيم محلقيين إلى مروج فضائل القديسين.

فى ذلك اليوم بيئتم مدى تشوقكم عندما أطلت
الحديث جدا لدرجة لم تحدث من قبل وكثيرون كانوا
يتوقعون أن تعطشكم سينطفئ لوفرة ما سمعتم، لكن ما
حدث هو العكس فقد ازدادت قلوبكم دفنا واشتعلت

رغبتكم التهاوبا والدليل على ذلك، الهتاف العظيم الذى حدث فى نهاية العظة وكم كان مدويا.

نفس الشىء يحدث فى دكان الحداد: فى البداية يكون ضوء النيران غير واضحا لكن عندما تمسك النار بكل الخشب الموضوع فوقها فان أسنة اللهب ترتفع عاليا. هذا رأيتة فى ذلك اليوم، حماس الحاضرين لم يكن جارفا فى البداية لكن عندما امتد الحديث وتناولنا موضوعات شتى واتسعت المناقشة، وتوهجت الرغبة فى الاستماع واندلع الهتاف. وعلى الرغم من أننى كنت قد أعددت نفسى ألا أتكلم كثيرا لكن هذا ما حدث. فهل تجاوزت الحد!! كلاً لأننى اعتدت قياس مقدار التعليم ليس بكثرة ما يقال من كلمات لكن باستعداد السامعين. فإن الذى يواجه مستمعين متبرمين حتى وإن اختصر فى حديثه يعتبرونه مثيراً لغیظهم، أما من يواجه مستمعين شغوفين يقظين فمهما أطل الحديث لم يشبع رغبتهم بل يريدوا المزيد.

بالتطبع فى وسط هذا الجمع الغفير هناك بعض النفوس الضعيفة غير القادرة على متابعة الحديث المستفيض هؤلاء أقترح عليهم أن يسمعوا على قدر طاقتهم ثم ينصرفوا، لا أحد يمنعهم ولا أحد يجبرهم على البقاء لسماع المزيد لكن هذا أيضا لا يستلزم اختصار المحاضرة وإنهاءها قبل الوقت.

أحيانا أنت تشبع لكن أخاك مازال جائعا، أنت ارتويت لكن أخاك مازال ظمأنا. لا يورقك ضعفك ولا تجبر نفسك لاستيعاب أكثر مما تحتمل، ولا تثير غيظ أخيك بمنعه من استماع كل ما يستطيع.

هذا يحدث أيضا فى أعياد العلمانيين، البعض يشبعون بسرعة والبعض يبطنون، ولا يلوم هؤلاء أولئك ولا أولئك يدينون هؤلاء لكن عندهم الذى ينسحب بسرعة يستحق المديح لكن فى اجتماعاتنا نحن من ينصرف سريعا لا يستحق الثناء لكنه معذور. هناك من

يتباطأ فى الاتصاف يلام أما عندنا من يبقى طويلا
يُمدح. التأخير والتباطؤ هناك ينشأ من الطمع والشره،
لكن هنا الاحتمال والصبر ينشأ من الرغبة فى
الروحيات والاشتياق إلى الإلهيات.

محبة الله الحانية للبشر بالرغم من جحود الانسان
نكتفى بهذه المقدمة ونواصل حديثنا عن موضوع
تعدد الألسنة والذى لم نستكملة فى ذلك اليوم.

كان للجميع لغة واحدة كما هم أيضا طبيعة
واحدة، فمن أين أتى تعدد الألسنة؟

أجيب: من إهمال أولئك الذين قبلوا العطية ولم يحفظوها.
هذه القضية تبين لنا محبة الله الحانية الذى أعطى
الجميع لسانا واحدا، ومدى حماقة أولئك العبيد التى
جلبت تعدد الألسنة، فعلى الرغم من علم الله السابق بأننا
سنبدد العطية أعطاها لنا، أما أولئك العبيد الذين انتمنوا
عليها فقد جلبوا عليهم شرا عظيما.

هذه إحدى طرق الإيضاح: أن الله لا يسلب العطية منا لكن نحن الذين نبددها. والثانية هي أن الله أعطانا نعمًا أعظم بكثير من تلك التي فقدناها. بدلاً من التعب في هذا الزمان الله أنعم لنا بالحياة الأبدية وعضواً عن الشوك والحسك جعل ثمار الروح تنمو في أنفسنا.

الإنسان لم تكن له قيمة تذكر لكن الآن لم يعد هناك من هو أعظم شرفاً منه. لقد كان الأخير في الخليقة العاقلة لكن الآن وبواسطة البكر رفعنا إلى العرش الملكى.

تماماً مثل إنسان غنى كريم رأى شخصاً وقد نجا عريانا من البحر وأمواجه بعد تحطم سفينته فأخذه على يديه محتضناً إياه وألبسه رداءً فاخراً ورفعته إلى قمة الشرف والمجد هكذا فعل الله بطبيعتنا فبعد أن أضاع الإنسان كل ما كان يتمتع به، أعنى صلته الحميمة بالخالق وإقامته فى الفردوس هاننا بحياة أمانة مطمئنة،

خرج عريانا كمن تحطمت سفينته، لكن على الفور إلتقاه الله وكساه وأخذ بيده ورويدا رويدا رفعه إلى السماوات. وعلى الرغم من أن تحطم السفينة هنا لا عذر للإنسان فيه لأنه لم يكن نتيجة للرياح العاتية والعواصف القوية لكن لإهمال البحار نفسه، مع هذا فإن الله تحنن عليه ورثى لنكبته الضخمة، والإنسان الذى انكسرت سفينته فى الميناء عامله الله بكل الحب والشفقة مثل من تتحطم سفينته فى وسط البحر. لأن من يسقط وهو فى الفردوس يشبه تماما من تتحطم سفينته فى الميناء. لماذا؟.. لأن هناك فى الفردوس لا حزن ولا غم، لا تعب ولا كد، ولا أمواج متلاحقة من الرغبات والشهوات تهاجم طبيعتنا ومع ذلك فسد آدم وسقط.

ماذا يفعل لصوص البحر؟.. يتقبون السفينة بألة حديدية صغيرة ثم يتركونها لمياه البحر تغرقها. هكذا فعل الشيطان بآدم عندما رأى سفينته التى هى نفسه مملوءة

من كل صلاح، أتى وثقبتها بكلامه الملق المخادع وأفرغه من كل ثروته وأغرق سفينته. لكن شكرا لله فقد جعل الربح أعظم من الخسارة إذ رفع طبيعتنا إلى العرش الملكى. لذلك هتف الرسول بولس قائلا "أقامنا وأجلسنا معه في السماوات ليظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائت باللفظ علينا فى المسيح يسوع" (أف ٣ : ٧).

لعلك تتساءل قائلا: الحدث تم فعلا فلماذا يقول كي يظهر فى الدهور الآتية، ألم يظهر بعد ؟ .. نعم لقد أظهره وبينه لكن ليس للجميع لكن لنا نحن المؤمنون أما غير المؤمنين فلم يدركوا الأعجوبة بعد.

فى ذلك اليوم كافة البشر سيأتون ويقفون أمامه ويتعجبون مما سيرون أما لنا فسيكون كل شئ أكثر جليانا نحن الذين آمننا وصدقنا بمجرد السمع غير أن السمع ليس كالرؤية لا يضع أمامنا الحقيقة كما هى.

قوة الشياطين

تماما مثلما نسمع عن الملك والرداء الارجوانى
وصولجان الحكم والحلة الذهبية والعرش الملكى نتعجب
ونذهل لكن بدرجة لا تقارن إذا ما رأينا الملك جالسا على
كرسيه العظيم، كذلك سنرى وحيد الجنس عندما تزاح
ستائر السماوات وملك الملوك ينزل تحيط به الطغفمات
السماوية حينئذ نعاين الأعجوبة التى هى فوق إدراكنا
بما لا يقاس.

تأملوا وتعجبوا وانظروا طبيعتنا وهى محمولة على
الشاروبيم وكل القوآت الملائكية تحيط بها.

انظروا إلى حكمة بولس الرسول كيف يجتهد باحثا
عن تعبيرات كى يظهر لنا مدى حنان الله، فلم يورد كلمتا
الغنى والنعمة مجردتين لكنه قال "غنى نعمته الفائت
باللطف علينا". ومع ذلك لم يف بالغرض ولم يصل إلى
بغيته. وكما تنزلق الأجسام الملساء عند محاولة الأيدى
الإمساك بها مرات عديدة كذلك نحن أيضا لا نقدر

قوة الشياطين

أن نصف حنان الله مهما أوتينا من بلاغة لأنه دائما يفوق ضعف تعبيراتنا، ولأن القديس بولس اختبر هذا وأدرك أنه مهما قويت التعبيرات فإنها تنهزم أمام حنان الله الفائق لذلك كف عن الكلام بعد عبارته هذه "نشكر الله على عطيته التي لا يعبر عنها" (٢كو٩: ١٥).

ما من لسان أو عقل يقدر أن يبين حنان الله ومحبه الفائقة للبشر، وهذا ما جعل بولس الرسول يقول "سلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم" (فى٤: ٧).

محبة الله تظهر فى عطياه وأيضا فى الحرمان منها أوردت لكم طريقتين لإيضاح محبة الله الحانية نحو البشر

الأولى: أن الله لم ينتزع العطية منا لكن نحن الذين أضعناها. الثانية: أن الله منحنا بركات أعظم من تلك التى بددناها.

أود هنا أن أضيف أخرى ثالثة وهى: حتى إن

قوة الشياطين

لم يعطنا الله ما هو أعظم واسترد ما قد سبق وأعطاه
فإن هذا في حد ذاته كافيا لإظهار محبته وحنانه الفائق
نحونا. والآن أوضح لكم هذا الكلام:

الله أسكن الإنسان الفردوس، لكن الإنسان بإهماله
ورعونته أظهر أنه غير جدير بهذه العطية فاستردها الله
ثانية وهذا لصلاح الله.

يتساءل أحدكم: أى نوع من الصلاح هذا أن يعطى ثم
يرجع ويأخذ ما أعطاه؟.. مهلاً وأنصت إلى: هل تعتقد
أنه كان من الصالح لقايين أن يسكن الفردوس بعد أن
ارتكب جريمته؟ لقد كان مطرودا ومحكوما عليه بالتعب
والكدح والعناء وناظرا خطر الموت يخيم فوق رأسه
ويرى بلية أبيه أمام عينيه وآثار غضب الله فى يديه
ويكتنفه رعب وفزع عظيم وبالرغم من هذا كله اندفع
إلى هذا الشر الكبير وذبح أخاه الذى لم يسيئ إليه وصبغ
يمينه بدمه وعندما أراد الله تهدنته رفض الإذعان

وتحدى خالقه وأهان والديه. هذا الإنسان إن لم يطرد خارج الفردوس ترى إلى أى شر عظيم كان سيتردى! لأنه بالرغم من القيود والحواجز التى وضعت حوله ففز هذه القفزة القاتلة.

هيا بنا نتعلم من حواء أم هذا الرجل وكيف كان الخروج من الفردوس ذا نفع عظيم لها. قارن كيف كانت فى الفردوس وكيف أصبحت بعده، تأملها وهى فى الفردوس وتأملها بعد الطرد منه. قبلا كانت تصدق كلام الشيطان المخادع، إبليس الخبيث أكثر من وصايا الله، وبنظرة إلى الشجرة وطأت بقدميها ناموس الله أما بعد الطرد من الفردوس نراها أكثر حكمة فعند ولادتها ابنا قالت: "قد اقتنيت رجلا من لدن الرب" (تك: ٤: ١). على الفور تفكرت فى الله - الذى قبلا احتقرت كلامه - ولم تنسب إنجاب الطفل إلى قوانين الطبيعة والزواج إنما تعترف بالشكر لرب الطبيعة. هذه المرأة التى أغوت

قوة الشياطين

زوجها قبلا نجدها تعلم طفلها وتدعوه باسم يذكرها دائما بعطية الله. وحين ولادتها آخر قالت: "الرب وضع لي نسلًا عوضًا عن هابيل لأن قايين كان قتله" (تك ٤: ٢٥). إنها تتذكر الكارثة والبلوى لكنها أصبحت صبورة شاكرة الله على الدوام وتدعو طفلها عطيته وتغرس فيه كل ما هو جوهرى وضرورى للتعليم والتهديب.

الله دائما يبغى منفعتنا حتى إن حرماننا من بعض الأشياء. فحواء التى طردت من الفردوس نجد الله يقودها بهذا الطرد إلى معرفته الصحيحة. نعم لقد نالت أعظم مما فقدت!.

لعل أحد يتساءل: لماذا أسكن الله الإنسان الفردوس إذن، إذا كان الخروج منه نافعا؟.

الإنسان بإهماله استحق الطرد لكن الله جعل هذا أيضا يعود عليه بالخير، فإن كان آدم وحواء انتبها إلى

نفسيهما وقدم الشكر لله الخالق وعرفا كيف ينضبطا لبقيا في شرف السكنى فى الفردوس غير أنهما تعاملتا مع عطايا الله بعجرفة فأصبح من الصالح لهما أن يطردا. وأيضا كى يظهر لنا الله مسبقا محبته الحانية أعد لنا شرفا أعظم يحضرنا إليه. نعم نحن الذين جلبنا على ذواتنا التأديب والعقاب، وأخرجنا أنفسنا من الفردوس لعدم اهتمامنا بالخيرات التى وهبنا إياها الله.

تماما مثل أب حنون يسمح لابنه بالسكنى فى منزله والتمتع بكل خيراته لكن حينما يجد ابنه غير جدير بهذا الشرف فإنه يستقصيه من مائدته ويغض النظر عنه ثم أخيرا يطرده من بيته، عله بمعاناته الطرد والازدراء والمهانة يصير إلى حال أفضل ويظهر أنه أصبح أهلا للعودة إلى حضن أبيه وميراثه.

هذا ما فعله الله مع الإنسان أسكنه الفردوس وعندما أظهر الإنسان عدم استحقاقه طرده خارجا بغية

أن يؤول إلى حال أفضل ويظهر سلوكا منضبطا به يتأهل للعودة ثانية ويسمع الصوت القائل: "اليوم تكون معى فى الفردوس" (مت ٢٥ : ١٦).

ألم تروا معى أنه ليس فقط السكنى فى الفردوس لكن أيضا الطرد منه برهاننا على محبة الله الفائقة لنا! ومن لم يعان الطرد من الفردوس فكيف يظهر أنه مستحقا له ثانية؟.

برج بابل وبلبله الألسنة :

دعونا نطبق هذا على موضوع تعدد الألسنة.

الله أعطى البشر جميعا أن يتكلموا لغة واحدة وهذا جزء من محبته لهم. ولأنهم لم يحسنوا استخدام هذه العطية وسقطوا فى حماقة مطبقة حرمهم منها. كانوا يتكلمون لغة واحدة ومع ذلك انزلقوا فى جهل كبير وبدأوا فى تشييد برج يصل الى السماء، وعلى الفور عاقبهم الله لأنهم إن لم يؤدبوا لرغبوا فى الوصول الى

السماء والامساك بها وبالرغم من استحالة ذلك إلا أن هذه هي أفكارهم الأثيمة والتي وضحت من عملهم. نتأمل معا محبة الله الحانية في قوله "هوذا لسان واحد لجميعهم وهذا هو ابتداؤهم بالعمل". (تك ١١ : ٦)

إذن لماذا لم يبلي الله أسنتهم من البداية؟ الله قبل أن يفعل نجده يدافع عن نفسه وكأنه سوف يقف متهما في محكمة لم يدع أحدا يتهمه قائلا: لماذا فعلت هكذا؟ نعم هو الله ويفعل ما يشاء لكننا نراه وكأنه سوف يعطى حسابا عن عمله. يقدم دفاعا معلما إيانا أن نكون لطفاء ودودين، لأنه وهو السيد يدافع عن نفسه أمام عبده فكم بالأحرى نحن! يجب أن ندافع عن أنفسنا بعضنا تجاه البعض متى أستذنبنا. انظروا كيف يدافع الله عن نفسه "هوذا لسان واحد لجميعهم وهذا هو ابتداؤهم بالعمل". وكأنه يقول إننى لا أترك أحدا يلومنى

عندما يرى تعدد الألسنة، ولا أدع آخر يظن أن تعدد الألسنة كان من البدء "إنهم فم واحد ولسان واحد لجميعهم". لكنهم لم يحسنوا استخدام العظية. ولكي نفهم أنه لا يبغى معاقبتهم على ما فعلوا بقدر ما يقصد إصلاحهم نتابع معا "والآن لا يمتنع عليهم شئ في كل ما ينوون أن يفعلوه". (تك ١١ : ٦)

أولئك الناس إن لم يعاقبوا على التو ويردعوا تماما على خطاياهم فلن يتوقفوا أبدا عن شرهم. وهذا ما يعنيه بقوله "لا شئ يمتنع عليهم في كل ما ينوون أن يفعلوه". وكأنه يقول أنهم سوف يرتكبون أعمالا أكثر فظاعة وبشاعة لأن هذا الشر متى ابتدأ لن يتوقف، تماما مثلما تمسك النار بالخشب فإنها ترتفع ارتفاعا شاهقا. ألم ترون أن حرمانهم من وحدة اللغة هو من عظيم محبة الله لهم. لقد بلبل ألسنتهم كي لا يسقطوا في شر أعظم.

ليت ما سأقوله الآن يظل راسخاً في عقولكم: أن الله ليس فقط عندما يهب عطايا يكون لطيفاً ومحبباً لكن عندما يؤدب ويعاقب أيضاً.

إن تأديب الله وعقابه أحياناً يمثل الجزء الأكبر من إحسانه والصورة العظمى من تدبيره، لذلك حينما تجد مجاعات تحدث أو أوبئة، جفافاً أو فيضانات أو تقلبات في الطقس أو شئ تظن أنه عقاب للبشر لا تغتم ولا تدع اليأس ينتابك لكن بارك الرب الذى جعل تلك الأشياء وتعجب منه على عنايته لأنه سمح بذلك لعقاب الجسد كي تصحّ الروح.

هل الله هو الذى يفعل هذه الأشياء؟ يتساءل

أحدكم.

نعم الله هو الذى يفعل هذه الأشياء. أقول هذا ولا أخجل حتى وإن كانت المدينة كلها هاهنا أو العالم كله فأنى لأمتنع عن قول هذا، لعل صوتى يصير أوضح من البوق

وأقف فى أعلى مكان وأصيح بأعلى صوتى لكل البشر
معلنا أن الله هو الذى يفعل هذه الأشياء، لا أقول هذا فى
كبرياء أو عجرفة لكن النبى يقف بجانبى ويؤيدنى قائلا:
"ليس هناك بليّة فى المدينة إلا والرب فاعلها".
(عا ٣ : ٦).

كلمة شر ومعانيها المختلفة

كلمة شر - كلمة غامضة - والآن أود أن تعرفوا
المعنى الصحيح لهذه الكلمة لأنه بسبب غموض المعنى
تختلط عليكم الأمور وربما تسقطوا فى التجديف. هناك
شر، نعم شر حقيقى مثل: الزنا، الفسق، الطمع، الحسد
وغيرها من الأشياء الفظيعة التى تستوجب أقصى درجات
التأديب والعقاب. ويوجد ما يطلق عليه شر لكنه ليس
شراً على الإطلاق مثل: الأوبئة، الموت، المرض وما
شابهها. هذه ليست شرورا إنما تدعى هكذا. كيف تكون
شرورا وهى تجلب صلاحا لنا فهى تؤدبنا

على كبرياننا تنخسنا متى تكاسلنا، تحسنا على الحماس،
وتجعلنا أكثر انتباهاً وبقظة.

يقول أحدهم "إذ قتلهم طلبوه ورجعوا وبكروا إلى
الله". (مز ٧٨ : ٣٤). ويدعو هذا شراً، الذي كان
سبب تأديب لهم وصيرهم أكثر طهارة ونقاوة، وملاهم
بالحماس، وقادهم إلى محبة الحكمة. كيف يكون شراً!..
وعلى النقيض الأشياء التي ذكرناها التي تستوجب
الدينونة، التي ليست من عمل الله لكنها من اختراع
البشر وتسبب هلاك آخرين.

أيضاً المعاناة التي نكابدها من التأديب يدعونها شراً. هذا
لأن الإنسان يراها هكذا وليس اعتباراً إلى طبيعتها لأننا
اعتدنا أن نطلق كلمة شر ليس فقط على السرقة والزنا،
إنما على المحن والكوارث أيضاً. وهذا ما قاله النبي
"ليس بليّة في المدينة إلا والرب فاعلها".

وهذا ما يعنيه أشعياء النبي أن الله يقول بوضوح

"أنا الله صانع السلام وخالق الشر" (أش ٤٥: ٧). داعيا أيضاً النكبات والكوارث شروراً. وذلك ما أشار إليه الرب يسوع قائلاً لتلاميذه "يكفى اليوم شره" (مت ٣: ٦) ويعنى المعاناة والبؤس.

من ثم يتضح أن الله نفسه يدعو التأديبات شرراً، وهو نفسه يجلبها علينا مانحاً إيانا معاينة تدبيره الإلهي العظيم.

هل يُحمد الطبيب فقط حينما يسمح للمريض بالخروج إلى الحدائق والذهاب إلى حمام السباحة والتناول من كافة الأطعمة! لكن عندما يطلب منه عدم تناول بعض الأطعمة أو يرغمه على الجوع والعطش لبعض الوقت وملازمة الفراش ويجعله حبيس المنزل ويحرمه من الضوء مظلاً غرفته بالستائر وأكثر من هذا أحياناً يكوى ويبتسر ويأمر بالأدوية المرة ألم يكن لذلك طبيياً؟..

هل من الصواب ألا ندعوه طبيبا لأنه فعل هذه الأشياء
التي نعتبرها شرورا؟

فلماذا نلوم الله ونجدف عليه إذا فعل واحدة من هذه: إذا
أتى بمجاعة أو موت أو غيرها. لماذا نرفض تدبيره؟ مع
أنه هو الطبيب الحقيقي الوحيد لأرواحنا وأجسادنا لذلك
يضبط طبيعتنا التي تطيش وتتهور وتتمخض بحمى
الخطايا. وبالحرمان والجوع والعطش، وأحيانا بالموت
وكوارث أخرى وأدوية مختلفة يعرفها هو، يحررنا من
خطايانا ويشفينا من أمراضنا.

يقول واحد: الفقير وحده فقط الذى يعانى الجوع:

أقول: الله لا يؤدب بالجوع فقط لكن بأشياء كثيرة. ربما
بالجوع يؤدب الفقير أما الغنى الذى يعيش مترفها
فبالأخطار والأمراض والموت المفاجئ يؤدب.

الله كلى النعم لديه أدوية عديدة ومتنوعة لأجل خلاصنا.

القضاة والحكام يكرمون ويتوجون ويعطون مكافآت، لكنهم أيضا يؤدّبون البعض فيها السيف مستل والعذاب مُعدّ - المطرقة ودولاب التعذيب - والجلادون مستعدون، وأشكال لا تحصى للتأديب والعقاب. إن المجاعة لله كالجلاد للقاضي يسمح بها كي يصلحنا ويقودنا بعيدا عن الرذيلة.

مثل آخر: الكرامون الذين يحافظون على الكرم، يسجون حوله، ويشذبونه ليس هذا فقط إنما أيضا يقطعون بعض الأغصان لهذا لديهم المعول وأيضا المنجل الذى يقطع ولا نجد عيبا فى هذا لكن بالأحرى نمتدحهم عندما نراهم يقطعون الأغصان غير النافعة، كي بإزالة ما هو غير صالح تمنح حياة آمنة للبقية.

الآن نحن نوافق الأب والطبيب والقاضى والكرام ولا نلوم الأب الذى يطرد ابنه خارج المنزل، ولا الطبيب الذى يمنع الطعام عن مريضه، ولا القاضى

الذى يصلح ويؤدب، ولا الكرام الذى يشذب. لكننا نلوم الله ونوجه له الاتهامات العديدة إذا أيقظنا فى وقت ما من سبى عقولنا وجنونا الذى نحن فيه نترنح نتيجة شرورنا.

ياله من جنون مطبق إننا لا نسمح لله بنفس القدر من تبرير الذات الذى نسمح به للعبيد رفقانا.

إنني أخشى على هؤلاء الذين يدينون الله لهذا أتكلم أخشى أن يرفسوا مناخس فتتخضب أرجلهم بالدماء، وأخاف عليهم أن يلقوا بالحجارة إلى فوق فتسقط على رؤوسهم وتصيبهم بالجراح.

هناك شئ آخر: إن أخذ الله شينا منا فهذا لمنفعتنا وحتى إن لم يكن كذلك من يقدر أن يلومه انه الرب ونحن جبلته.

نحن البشر عندما يأتمنا البعض على مالهم ويقرضوننا جزءا منه لبعض الوقت، ألم نشكرهم على

قوة الشياطين

هذا، وهل نسخط عليهم حينما يستردون ما سبق وأعطونا. فلماذا نلوم الله عندما يسترد وديعته . أليس هذا قمة الحماقة منا ؟ أيوب البار العظيم لم يفعل هكذا لكنه كان دائم الشكر لله، وعندما حرمه الله من كل شئ قال: "الرب أعطى، الرب أخذ فليكن اسم الرب مباركًا" (أيوب ٧: ٥).

إذن ينبغي علينا الشكر في كل حال، لأن الحرمان نافع لنا كما العطية. فأى معذرة وأي مغفرة لنا إن تذرنا وضجرنا بدلا من أن نباركه.

تدبير الله الحنون وخبث الشياطين

إن تدبير الله وعنايته لهما أكثر وضوحا من الشمس، ومع هذا يتجاسر البعض ويقولوا أن الشياطين تدير أمور حياتنا. سيدنا كم هو مُحب يفضّل بالأحرى أن تلومه ولا تنسب تدبير أمورك إلى الشياطين. وسوف يعرفك حقيقتهم، وطبيعة عملهم وستدرك حينئذ مدى شرهم.

أحبائى: يجدر بى الآن أن أضع أمامكم هذا المثال:
هذا الرجل الذى كانت الشياطين تسكنه وكان يسكن
القبور. عندما تقابل مع يسوع، طلبت الشياطين بتوسل
إلى الرب أن يأذن لها بالدخول فى قطيع الخنازير. فأذن
لها وعلى الفور اندفع القطيع كله من على الجرف إلى
البحر ومات.

هكذا تعمل الشياطين وهكذا تتصرف. انظروا ماذا
فعلت بالخنازير التى لا اعتبار ولا قيمة لها عند
الشياطين، التى لاتحسب لها حسابا. أما نحن لها معنا
حرب أبدية لا مهادنة فيها، ومعركة لا تخمد، وكرهية لا
تموت. إذا كانت لم تمهل الخنازير لحظة لتتقط فيها
أنفاسها - الخنازير التى لاشيء مشترك بينهم - فماذا
كانت تفعل بنا إذا سمح لها الله باستخدام كل قوتها، نحن
الذين نعتبرنا أعداءها ودائما نؤخرها. أي أذى كانت
ستلحقه بنا؟ لذا سمح الله لها بالدخول فى الخنازير.

بغية أن نعرف مدى شرها عندما نرى ما تفعله بهذه الحيوانات غير العاقلة. وأقول لكم أن هذا الإنسان المجنون حتى أثناء سكنى الشياطين فيه لم يحرم من عناية الله الذى حفظه ومنع الشياطين أن تفعل به ما فعلته بالخنازير. لذلك عندما نرى إنسانا هانجا به روح نجس يجب علينا أن نبارك الرب الذى جعلنا ندرك شينين: شر الشياطين، وحنان الله.

شر الشيطان الذى يزعج روح الإنسان ويجعلها مضطربة. وحنان الله الذى يخفف ويمنع وحشية هذا الشيطان الذى يريد أن يطرح هذا الإنسان ميتا. حنان الله الذى لم يسمح له باستخدام قوته كاملة لكن جزءا منها فقط. كى بهذا يرجع الإنسان إلى صوابه، ويجعل شر الشيطان ظاهرا.

هل ترغبون أن أقدم لكم مثلا آخر لتروا ثانية كيف تدير الشياطين الأمور عندما يسمح لها الله

باستخدام قوتها؟ تأملوا أيوب أنظروا كيف فى لحظة واحدة فتك الشيطان بقطعان غنمه جميعها، تفكروا فى الموت المأساوي لجميع أبنائه وأيضا تجربة جسده، وسوف تدركون مدى وحشية الشياطين التى لا ترحم.

من هذا نعلم بوضوح إن أتمن الله الشياطين على هذا العالم وسلمه لسطانهم كم سيصبح مرتبكا ومشوشا وتسوده الفوضى، ولفعلوا بنا كما فعلوا بالخنازير وقطعان غنم أيوب ولا أهملونا لحظة نلتقط فيها أنفاسنا.

إذا كانت الشياطين هى التى تمسك بزمام الأمور لما كنا نحن أفضل حالا من ذلك الإنسان المجنون ساكن القبور نعم كنا أسوأ منه، لأن الله لم يسلمه بالتمام الى طغيان الشيطان المستبد وإلا كابد ما هو أفظع بكثير.

إننى أسأل أولئك القوم الذين يقولون أن الشياطين هى التى تدير أمور حياتنا، أي نوع من الفوضى والارتباك يلاحظون فى الوقت الحالى؟ وها نحن ننظر

قوة الشياطين

الشمس فى مدارها منذ آلاف السنين، والنجوم تحفظ نظامها، والقمر يسير فى مساره بغير عائق، والليل والنهار يتعاقبان. كل الأشياء سواء من فوق أو من أسفل كما هى تسير فى توافق عجيب ودقيق. نعم الكل فى مكانه لا يبرحه ولا يتخطاه كما رسم له الله منذ البدء.

ازدهار بعض الأشرار ومحن بعض الأبرار هل يتفق مع عدل الله ؟

مالفائدة من كل هذا ؟ يتساءل واحد، نعم السماء والشمس والقمر وكافة النجوم وكل الأشياء تسير فى نظام بديع. لكن أمور حياتنا مليئة بالفوضى والتشويش. فنجد إنسانا غنيا متغطرسا ظمأعا جشعا يستنزف قوت الفقراء يوما بعد يوم ومع ذلك لا تصيبه أى من المحن. ونشاهد آخر يحيا حياة الصبر وضبط النفس والاستقامة ويتحلى بكل الصفات الحميدة ومع ذلك نراه مجربا

بالفاقة والمرض وكل البلايا!.

هل هذه الأشياء تعثرك؟.. هل إذا رأيت الطماع يُعاقب والذي يحيا في الفضيلة يتمتع بالخيرات العديدة تغير رأيك وتقتنع بأن الله هو ضابط الكل؟.

عندما تجد شخصين شريرين أحدهما يُعاقب هنا على الأرض من قبل الله والآخر لا، وأثنين صالحين الواحد مكرماً والثاني مجرباً فإن هذا من عظيم تدبير الله.

إذا عاقب الله كل الأشرار هنا على الأرض وأكرم كل الأبرار فما الداعي ليوم الدينونة؟.. وأيضاً إن لم يعاقب بعض الأشرار هنا في هذا العالم، ولم يكافئ بعض الأبرار، فإن الدنى يزداد في دناءته والذين يدينون الله لن يكفوا عن التجديف عليه قائلين أن شئون حياتهم لا تخضع لتدبيره.

في حياتنا نرى بعض الأشرار يُؤدّبون وأيضاً بعض الأبرار يُجربون، هل معنى هذا أن أمور حياتنا

لا تخضع لترتيب، وهل يحل لهؤلاء الناس أن ينطقوا بما يحلو لهم من تجاديف؟. الله لا يعاقب ويؤدب كل الأشرار هنا على الأرض، ولا يكافئ جميع الأبرار أيضا لماذا؟. لأنه جعل هناك قيامة ويوم دينونة. لكنه يؤدب بعض الكسالى بغية أن يرى الباقون تأديبهم فينهضوا من كسلهم. ويكافئ بعض الأبرار حتى يرى الآخرون مكافأتهم فيقتدون بفضائلهم. الله لا يكرم كل الصالحين هنا لأنهم سينالون مجازاتهم هناك فى الأبدية. إذا نال جميع الناس أجرتهم هنا فى الدنيا فسوف لا يؤمن أحد بالقيامة، وأيضا إذا ترك الجميع ولم يجاز بعضا منهم فإن الأغلبية يتمادون فى توانيهم. من هذا المنطلق يؤدب الله البعض ويترك الآخر، مميزا بين هؤلاء الذين يعاقبون وأولئك الذين لا يعاقبون، الذين لا يعاقبون ينأى بشرهم عن هؤلاء الذين بالتأديب يصيروا أكثر انضباطا.

يُتضح هذا مما قاله السيد المسيح نفسه عندما أخبر الجموع عن هؤلاء القوم الذين سقط عليهم البرج في سلوام وأماهم "ماذا تظنون! هل أولئك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج في سلوام وقتلهم كانوا مذنبين أكثر من جميع الناس الساكنين في أورشليم؟ كلاً أقول لكم إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تملكون" (لو ١٢ : ٤-٥). أولئك الذين هلكوا، بسبب ذنوبهم هلكوا، أما البقية التي لم تهلك ليس كونهم أبرارا نجوا - لا- لكنهم كى يتوبوا اذا مارأوا عقاب الآخرين.

أولئك الذين هلكوا وقع عليهم ظلم إذن - يقول واحد- لأنهم ربما تابوا إذا أتاحت الفرصة لهم بدلا من هلاكهم. أجيب قانلا: الله عالم بكل شئ ويعرف أنهم لن يتوبوا حتى إذا رأوا عقاب آخرين.

الله بعلمه السابق يعلم أن كثيرين لا يلتفتون إلى طول
أناته ولا يعيرونه اهتماما، ومع ذلك يحتملهم بصبر
متأنيا عليهم مقدما لهم الفرصة عليهم يستفيقوا ويرجعوا
عن حنقهم.

الذين هلكوا لم يعاملوا بظلم أبدا. وأيضا سوف ينالوا
هناك عقابا أخف لأنهم عوقبوا جزئيا هاهنا.

أيضا الذين لم يعاقبوا لم يقع عليهم ظلم لأن لديهم
الفرصة ليرجعوا عن طرقهم الرديئة إذا رغبوا الاستفادة
من طول أناة الله، متعجبين من احتماله، وخجولين من
صبره الذي لا يحد، ويتوبوا نحو الفضيلة. وينالوا
خلاص أنفسهم. لكن إذا استمروا في شرورهم فلا أحد
يلوم الله الذي أطال أناته عليهم كي يشفيهم ويعطيهم
الحياة. أما هم لم يكونوا جديرين بعفوه ولم يحسنوا
استغلال طول أناته وصبره.

أوضحت لكم بحديثي هذا لماذا لم يعاقب الله جميع
الأسرار هنا على الأرض، وأحب أن أضيف قائلا:

إذا أوقع الله بالبشر العقاب الذى يستحقونه على خطاياهم
لهلك الجنس البشرى كله من البداية ولا كان هناك تعاقب
للأجيال، وكى تعلموا أن هذا حقيقى أسمعوا ما يقوله
النبي: "إن كنت للأثام يارب راصداً من يثبت"
(مز ١٣٠ : ٣).

تعالوا نفحص هذه الآية، ولنترك الذنوب والخطايا
الدقيقة فى حياة كل منا لأنه من الصعب أن نحصيها أو
نعرفها لكن نضع أمامنا الخطايا التى يرتكبها البشر
جميعا دون استثناء، ومنها يتضح أنه إذا كنا عوقبنا
عليها لهلك الجنس البشرى منذ أمد بعيد.

يقول الكتاب: "من قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجباً
نار جهنم" (مت ٥ : ٢٢). من منا لم يرتكب هذه الخطية؟
إذن جميعنا يستحق الموت والفناء من زمن طويل.

ويقول "لا تحلفوا البتة" (مت ٥ : ٣٤). إنه ينهى عن الحلف، بمعنى من حلف حتى وإن أوفى الحلف يعد هذا فعلا مذموما. من منا لم يحلف؟ بل بالأحرى وحلف باطلا.

كذلك يقول: "من نظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى ما في قلبه" (مت ٥ : ٢٨). أليس كثيرون ارتكبوا هذه الخطية؟.

إذا كانت هذه الخطايا التي ذكرتها الآن كم هي بغیضة وكريهة وكل منها على حدة يجلب عقابا وتأديبا محتما فكم بالأحرى إن أحصينا خطايانا التي نرتكبها خفية.

من ثم ندرك أن العناية الإلهية لم تؤدبنا هنا على كل خطية.

إذا رأيت إنسانا جشعا طمعا وغير معاقب، افحص ذاتك واسترجع سيرة حياتك، تذكر خطاياك التي

قوة الشياطين

ارتكبتها، فسوف تعلم يقيناً أنك لم تعاقب على كل خطية منها. نحن نرى أيضاً الكثيرين ينطقون بأقوال سفسطائية تافهة لا تبني لأنهم لا يراقبون ذواتهم بل الآخرين. ليتنا نقلع عن هذه الأفعال ونراقب أنفسنا ونفحص ذواتنا أولاً.

إذا رأيت إنساناً باراً يُجرب، تذكر أيوب. هل يوجد هناك إنسان يفوق أيوب في برّه؟ - كلاً - ولا حتى يدنو منه. ومهما عانى إنسان ما من بلايا - أقول لكم - لم يصل إلى ما عاناه هذا الرجل أيوب.

فوائد التأديب الألهى

ضع هذا فى ذهنك، كَفَّ عن اتهام الله، واعلم أنه لا يتخلى عن الإنسان ليكابد المحن ويعانى البلىا، لكن كى يكمله ويرفع من منزلته.

إذا رأيت إنسانا خاطئا معاقبا تذكر مريض بيت حسدا الذى ظل ثمانية وثلاثين سنة مفلوجا مطروحا على الفراش، هذا الإنسان أسلمه الله للمرض نتيجة خطاياها التى أرتكبها. أسمع ماذا قال الرب يسوع له "ها أنت قد برئت فلا تعود تخطئى لنلا يكون لك أشر" (يو ٥ : ١٤).

نحن نؤدب إماما مجازاة على خطايانا وإماما كى نكلل إن كنا نحيا فى الاستقامة وجربنا بالمحن والبلىا. إذن فالتأديب نافع لنا على كل حال، سواء كنا نعيش حياة البر أو نسلك طريق الخطية. نحن نؤدب كى نتزكى

أكثر أو نؤدب لنصير أكثر انضباطا، وأيضا تخفيفا للعقوبة العتيدة لأن من يؤدب هنا ويحتمل بشكر ستكون دينونته هناك أخف.

أسمع قول الرسول بولس "من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون. لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا، ولكن إذ قد حكم علينا نؤدب من الرب لكي لا ندان مع العالم" (١كو ١١: ٣٠).

ولدرائتنا بهذه الأمور دعونا نعظ عن تدبير الله بهذه الطريقة ونسكت أفواه أولئك المخالفين. إذا كانت هناك بعض الأمور تفوق إدراكنا ليس معنى هذا أن شئون حياتنا لا تخضع لتدبير الله، لأننا نحس ونلمس تدبيره في كثير من الأمور وهذا يجعلنا نزعن لحكمته التي لا تستقصى.

إذا كان من المستحيل تفهّم فن إنسان مالم نكن خبراء بهذا الفن، فكيف للعقل البشرى أن يدرك ويتفهم تدبير الله الذى لا يحد لأن الكتاب يقول "ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء" (روا ١١ : ٣٣).

نحن نعرف القدر البسيط عن تدبير الله لكن مع هذا حزنا واقتنينا إيماننا راسخا بالكل، له الشكر على كل حال. هناك أمر آخر للذين يرغبون الوعظ عن تدبير الله لا يمكن لأولئك المخالفين أن يعارضوه أو يناقضوه، لنسأل أولئك الناكرين لتدبير الله، هل يوجد اله؟ إذا أجابوا بالنفى، لا تتناقش معهم - تماما - كما أنه ما من جدوي أن تتناقش مع إنسان مجنون. هكذا الحال مع من يقولون ليس اله.

السفينة التى تقلّ بعض المسافرين وبها بعض البحارة لا يمكن أن تبحر بأمان ميلا واحدا دون اليد التى ترشدها.

قوة الشياطين

بالأحرى هذا العالم الذى يضم الآلاف من البشر ومؤلف من عناصر مختلفة كيف له هذا الاستمرار إن لم يكن خاضعا لتدبير فائق يضبطه ويحفظ له الدوام.

وإذا اعترف أولئك الناكرين - بخجل - بوجود الله دعنا نقول لهم : إن كان هناك إله - وهذا حقيقة واقعة - فلا بد أن يكون إلهاً عادلاً، لأنه إن لم يكن عادلاً ما كان إلهاً، وكونه كاملاً فى عدله لا بد أن يجازى كل واحد حسب أعماله. لكننا لا نرى الجميع يجازون هنا، هذا يعنى أن هناك حتما مجازاة تنتظرهم كى ينال كل واحد ما يستحقه. وبهذا يتحقق عدل الله.

هذه الحجة لا تسهم فقط فى تأكيد تدبير الله للكون. إنما أيضاً فى حقيقة القيامة.

قوة الشياطين

هيا بنا الآن نعلم الآخرين ونبذل كل الجهد لنسكت هذه الألسنة التي تهتاج السيد. فلنمجده فى كل شئ. وبذا ننال الكثير من عنايته ونتمتع بربوبيته، ولنهرب من الشر الحقيقى كى نقتنى لأنفسنا أبدية سعيدة. بالنعمة والرافة التى لربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذى له المجد مع أبيه الصالح والروح القدس الآن والى أبد الدهور أمين.

مصادر الكتاب :

١- الكتاب المقدس.

٢- The Nicene & post-nicene fathers

فهرس الكتاب

٨	١	تقديم
١٠	٢	كلمة شكر
١٢	٣	مقدمة للراهب و.ر. استفانوس
١٧	٤	حماس جمهور القديس يوحنا
٢٢	٥	محبة الله للبشر
٢٧	٦	محبة الله تظهر في عطايانا....
٣٢	٧	برج بابل
٣٦	٨	كلمة شر ومعانيها المختلفة
٤٢	٩	تدبير الله الحنون.....
٥٤	١٠	فوائد التأديب الألهى
٥٩	١١	مصادر الكتاب

